



أولاً - مقدمة عن

فضائل القرآن وتدبره



## ١- من فضائل القرآن الكريم

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»<sup>(١)</sup>.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُّ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»<sup>(٢)</sup>.

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمَهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ سِلْمًا»<sup>(٣)</sup>، سلماً: أي إسلاماً.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ»<sup>(٤)</sup>.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وسلم: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»<sup>(٥)</sup>، أي: أجر القراءة وأجر المشقة، أما الماهر بالقرآن فهو في أرفع الدرجات وأعظم أجراً؛ لأنه يكون مع الملائكة السفرة الكرام.

(١) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٤٠).

(٣) أخرجه مسلم (٦٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

## ٢- منزلة تدبر القرآن الكريم

قَالَ الْعَلَاءِيُّ: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٩٢].

قال الشنقيطي: أنزل الله هذا الكتاب، معظماً نفسه، بصيغة الجمع، وأنه كتاب مبارك، وأن من حكم إنزاله، أن يتدبر الناس آياته، أي: يتفهموها ويتعقلوها ويمعنوا النظر فيها، حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى. «أضواء البيان» (ج٦/ ص ٣٤٤).

قال ابن مسعود: «إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به». «تفسير القرطبي» (ج١ ص ٤٠)

قال ابن أبي مليكة: «سافرت مع ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً ثم يبكي حتى نسمع له نسيجاً»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: «هذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح» قال محمد ابن كعب القرظي: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ و﴿الْفَارِعَةُ﴾ لا أزيد عليهما أحب إلي من أن أهد القرآن ليلتي هذا». أو قال: «أنثره نثرًا»<sup>(٢)</sup>. «مفتاح دار السعادة» (ج١/ ص ١٨٧)

(١) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٣٢٨) والروزبي في «مختصر قيام الليل» (ص ١٣١).

والنسيج: أشد البكاء، وقال أبو عبيد: النسيج مثل البكاء لصبي إذا ردد صوته في صدره ولم يخرج «لسان العرب» (ج٢ - ص ٣٧٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٩٧) برقم (٢٨٧) ومن طريقه رواه أبو الشيخ الأصفهاني في «العظمة» (٣٥) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٥٥/ ص ١٤٣) وفي سننه عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، وقد اختلف فيه. فضعه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال ابن عدي: حسن الحديث يكتب حديثه.

## ٣- التحذير من هجر القرآن

**قَالَ النَّبِيُّ:** ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال ابن كثير: «وترك تدبره وتفهمه من هجرانه». «تفسير ابن كثير» (ج ٦ / ص ١٠٨).

قال ابن القيم: «هجر القرآن أنواع... الرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد

المتكلم به منه». «بدائع التفسير» (ج ٢ / ص ٢٥٨).

**قَالَ النَّبِيُّ:** ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [مجادل: ٤٢].

قال الشنقيطي: التقدير: أيعرضون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن، وقوله

تعالى: ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ فيه منقطة بمعنى بل، فقد أنكر تعالى عليهم إعراضهم

عن تدبر القرآن، بأداة الإنكار التي هي الهمزة، وبين أن قلوبهم عليها أقفال لا تفتح

لخير، ولا لفهم قرآن. «أضواء البيان» (ج ٧ / ص ٢٥٦).

**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤].

قال شيخ الإسلام: «وهذا حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب، لا يلين للسمع

والذكر، وهؤلاء فيهم شبه من اليهود كما في الآية». «مجموع الفتاوى» (ج ١١ / ص ٩).

## ٤- حال المؤمنين عند سماع القرآن

**قَالَ تَجَالِي:** ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

قال شيخ الإسلام: «هذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات، زاد في قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن، حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن، فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته، وهذه زيادة الإيمان». «مجموع الفتاوى» (ج٧/ ص٢٨٨).

**قَالَ تَجَالِي:** ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكُذِّبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٣٨].

قال السعدي: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ أثر ذلك في قلوبهم وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه، فلذلك آمنوا وأقروا به فقالوا: ﴿رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكُذِّبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ وهم أمة محمد ﷺ، يشهدون لله بالتوحيد. «تفسير السعدي» (ص٢٤٢).

**قَالَ تَجَالِي:** ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحجج: ٣٤-٣٥].

قال ابن القيم: «ذكر الله القلب المخبت المطمئن إليه وهو الذي ينتفع بالقرآن، ويزكو به قال الكلبي: ﴿فَتَخَبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ فترق للقرآن قلوبهم». «شفاء العليل» (ص١٠٦).

## ٥- ما يتضمنه الإيمان بالقرآن

١- شمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين لا يسع أحدًا منهم إلا الإيذان بها  
قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الْفُرْقَان: ١].

٢- نسخ القرآن الكريم لجميع الكتب قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا  
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [الْمَائِدَة: ٥٨].

٣- هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه  
من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي، قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ  
لَحَافِظُونَ﴾ [الْحَجَر: ٩].

٤- أن القرآن الكريم مشتمل على المعجزة العظمى، وحجة الله البالغة الباقية التي  
أيد بها نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَتْبَاعَهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ  
وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

[الْإِسْرَاء: ٨٨]

٥- بين الله تعالى في القرآن كل شيء مما يحتاج له الناس في أمر دينهم، وديناهم،  
ومعاشهم، ومعادهم، قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى  
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [الْبَقَرَة: ٩٨].

٦- أن القرآن هو آخر كتب الله نزولاً وخاتماً والشاهد عليها، قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿نَزَّلَ  
عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ  
الْقُرْآنَ﴾ [الْبَقَرَة: ٣، ٤].

٧- تحرم المجادلة في القرآن الكريم بغير علم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن  
جده قال: سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا يَتَدَارَوْنَ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ

قبلكم بهذا؛ ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه» (١).

٨- نزل على نبينا محمد ﷺ: منجماً، أي: مُفرقاً حسب الوقائع، أو حسب مقتضيات الأحوال في ثلاثٍ وعشرين سنة.

٩- كُتِبَ القرآن في عهد النبي ﷺ وبمرأى منه؛ حيث كان للوحي كُتَبَةٌ من خيرة الصحابة رضي الله عنهم يكتبون كل ما نزل من القرآن، وبأمر من النبي ﷺ ثم جُمِعَ في عهد أبي بكر، ثم في عهد عثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

١٠- ولا يجوزون تفسير القرآن بالرأي المجرد فإنه من القول على الله بغير علم ومن عمل الشيطان، قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿يَتَأَذُّهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩]، ويفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، ثم باللغة العربية التي نزل بها القرآن.

١١- والقرآن الكريم: يحتوي على (١١٤) سورة (٨٦) منها نزلت في مكة، و (٢٨) منها نزلت في المدينة، وتسمى السور التي نزلت في مكة بالسور المكية، والتي نزلت في المدينة بالمدينة.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ص ١٨٥) وابن ماجه (٨٥) وصححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (ج١/ص ١٤) والألباني في «صحيح ابن ماجه» (٨٢).

## ٦- من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم

١- وقع التحدي للإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعضه على مراتب:

الأولى - تحداهم الله على أن يأتوا بمثله فعبجروا وما استطاعوا، قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطُّور: ٤٣].

الثانية - تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هُود: ٣١].

الثالثة - تحداهم أن يأتوا بسورة منه فما استطاعوا، قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٨٣].

٢- أنه معجز من جهة ما تضمنه من أحكام وتشريعات تطبقها بحقق السعادة في الدارين حيث أنزل في هذا القرآن كل علم قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

[الأنعام: ٨٣]

٣- يسره الله للمتذكر والمتدبر، قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ [الفتح: ٧١].

٤- اشتمال القرآن على أخبار الرسل والأمم الماضية، وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه: ٩٩].

٥- اشتمل على كثير من الأغراض، مثل: القصص، والمواعظ، والحكم، والإعذار، والإنذار، والأحكام.

٦- أن القرآن تضمن خلاصة شرائع الكتب السابقة، قَالَ تَجَالِي: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [التَّوْرَى: ٣١].

٧- أن القرآن الكريم معجز بما تضمنه من أخبار عن الأمور الغيبية الماضية والمستقبلية، ووقائع الأمم المتقدمة، قَالَ تَجَالِي: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ [هُود: ٩٤]، وَقَالَ تَجَالِي: ﴿ الْم ١ غُلِبَتِ الرُّومُ ٢ ﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ ٣ ﴾ فِي يَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ [الرُّوم: ١-٤] يقرر الله في هذه الآيات التي نزلت بعد هزيمة الروم أمام الفرس أن العاقبة سوف تكون للروم مرة أخرى بعد بضع سنين في إعجاز غيبي تحقق كما وعد الله عزَّ وجلَّ به.

٨- نظم القرآن ككلُّ خارج عن المؤلف من كلام العرب كالشعر والنثر وفصاحة الألفاظ، وقوة المعاني، وكثرة الحكم، مع عدم التفاوت والاختلاف، مما لا يُعرف في أسلوب أحد من البشر، قَالَ تَجَالِي: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النَّاس: ٢٨].

قال الوليد بن المغيرة وهو من ألد أعداء الرسول: «إنَّ له حللًا، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنَّ أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (ج٢/ ص ٥٥٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.